عقدة النسب وأثرها في شعر الحطيئة وأبي نواس

The kinship knot and its impact on the poetry Al-Hutay'a and Abu nawas

د. أمينة عبدالله أحمد الحشاني. محاضر بقسم اللغة العربية. كلية التربية بنغازي. جامعة بنغازي .

Dr: Amina. A.A. Al hashani. Lecturer, Department of Arabic Language. Benghazi College of Education. Benghazi University
Email: abdallahamena4@gmail.com

تاريخ استلام البحث	تاريخ قبول البحث	تاريخ نشر البحث
2021 / 9 / 28	2021 / 10 / 19	2021 / 11 / 7

الملخص: لقد كانت الصلة وثيقة بين دراسة الأدب وعلم النفس، والإشارات النفسية موجودة في كتب النقد القديمة لكنها لم تتبلور بصورة واضحة إلا في العصر الحديث، وقد أضفت على الدراسات النقدية مسحة جديدة، وأصبح علم النفس أكثر مساهمة في دراسة الأدب، وقد تجلى هذا الاتجاه في دراسة العقاد لابن الرومي وبشار وأبي العلاء وأبي نواس، ودراسة المازني لابن الرومي في كتابه حصاد الهشيم، والنويهي في دراسته عن أبي نواس ودراسته شخصية بشار ، كما تناول النقاد كثيرا من الشعراء وفق مناهج النقد الحديثة لكن دراساتهم لا تخلو من وجهات نظر نفسانية .

قد سعت هذه الدراسة التي تناولت الشاعرين (الحطيئة وأبأ نواس) إلى إيضاح أثر عقدة النسب في شعر الشاعرين، وقد أظهرت الدراسة أن عقدة النسب كانت هي البذرة الأولى التي أثمرت ما نقرأه لهذين الشاعرين، لكن عقدة النسب اقترنت عند الحطيئة بعقدة تسمى(عقدة نابليون) لما اعترى جسده من اختلال ولذلك اتجه إلى الهجاء المقذع أما أبونواس فقد كان تكوينه الجسماني يختلف عن الحطيئة إذ إن دلالات تكوينه الجسماني إضافة إلى دلالات العصر أحالته إلى شخصية إباحية عاشقة للخمر والمجون .

الكلمات الداله: العقدة، النسب المغموز، الحطيئة، أبونواس، الشعر.

Abstract: There is a close relationship between the study of literature psychology, and psychological references are found in the ancient books of criticism, but it did not crystallize clearly except in the modern era. That there in Al-Akkad's study of Ibn Al-Roumi, Bashar, Abu Al-Ala and Abu Nawas, Al-Mazini's study of Ibn Al-Roumi in his book Harvest Al-Hashim, and Al-Nuwaihi in his study of Abu Nawas and his study about Bashar's personality.

This study, which deals with the two poets (Al-Hutay'a and Abu Nawas), seeks to clarify the effect of the lineage knot in the poetry of the two poets, When his body was disturbed and therefore he turned to abhorrent satire. As for Abu Nawas, his physical composition was different from Al-Hutay'a, as the indications of his physical formation in addition to the indications of the era referred him to a pornographic personality who loves alcohol and promiscuity.

Keywords: knot, incorrect origin, Al-Hutay'a, Abu Nawas ,Poetry.

المقدمة: أبت ظروف النشأة إلا أن تضع بصمتها على شخصيتي الحطيئة وأبي نواس، وإن اختلفت نهاية كلاهما، فالحطيئة مات ميتة أشبه بميتة الجاهلية، وذلك راجع إلى شخصيته المضطربة، كما أنه لم يكن واضحا في إسلامه فقد ارتد وأعلن ذلك في شعره، أما أبونواس فقد وجدت له أشعار تنم عن ندم بالغ، وهي ليست زهديات كما يراها بعض النقاد، وإنما هي نوبات ندم تنتابه بين الفينة والفينة، وهي يقظة ضمير، ترجع إلى ثقافته التي تلقاها في البصرة، فقد كان مترددا مابين حلقات العلم، ورُوي أنه" كان عالما فقيها عارفا بالأحكام والفتيا، بصيراً بالاختلاف ، صاحب حفظ ونظر ومعرفة بطرق الحديث، يعرف ناسخ القرآن ومنسوخه ومحكمه ومتشابهه" (ابن المعتز، 1950،201)، هذه الثقافة لابد أن يكون لها الأثر البالغ في هذه الصحوة المتقطعة.

مفهوم عقدة النسب:

العقدة في علم النفس هي مجموعة أفكار مشحونة إلى حد قوي بالانفعال، وهي أجزاء قاتمة في اللاوعي، وتوجه الفرد من دون معرفة منه في بعض أعماله (فضل الله،2011،ص35)، وفي مدرسة التحليل النفسي تعرف بأنها المبعث على تصرفات لا واعية تصدر عن الشخص (رفيق،2021،ص88)، أو هي اتجاه انفعالي لا شعوري لايبرح يؤثر في التفكير والسلوك على الرغم مما أصابه من الكبت والنسيان (مراد،2020،ص195).

لقد وجه الله الإنسان إلى استجلاء أسرار النفس في قوله تعالى:" ونَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وتَقْوَاهَا، قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا ".(سورة الشمس:الآيات7- 10) دفعت هذه الدعوة العلماء إلى التأمل في النفس البشرية محاولين سبر أغوارها والإلمام ببعض جوانبها، وباعتبار أن الإنتاج الأدبي مرآة لحياة الإنسان وصورة صادقة لمشاعره فقد أخذت الدراسات النقدية منحى نحو إقحام الدراسات النفسية في دراسة الشخصيات و الظواهر الأدبية .

إن الصلة وثيقة بين دراسة الأدب وعلم النفس والإشارات النفسية موجودة في كتب النقد القديمة، لكنها لم تتبلور بصورة واضحة إلا مع بداية العصر الحديث، وقد أضفت على الدراسات النقدية مسحة جديدة، وأصبح علم النفس أكثر مساهمة في دراسة الأدب.

وقد كان الشاعران علمين من أعلام الشعر العربي، وقد أبدع كلاهما في فن من فنون الشعر وعلا نجمها فيه، الحطيئة هجَّاء، والنواسي شاعر الخمريات دون منازع، وهذا التميز جعلهما موضوعا لهذه الدراسة التي تخضع لمناهج النقد التاريخي والنفسي والاجتماعي إذ إن تبني منهجا معينا في دراسة الشخصيات الأدبية كثيرا ما يوقع الدارس في أحكام خاطئة.

وعلى هذا الأساس كان بحثي الموسوم ب(عقدة النسب وأثرها في شعر الحطيئة وأبي نواس) وقد حاولت في هذا البحث تبيان أثر هذه العقدة في توجه الحطيئة إلى الهجاء والنواسي إلى المجون والخمر .

وكانت الإشكاليات الأساسية التي يطرحها موضوع البحث تكمن في كيف ساهمت عقدة النسب في جعل الحطيئة هجاءً والنواسي شاعر مجون وخمر تزعم ريادة هذا الفن في تاريخ الشعر العربي دون منازع .

إن دراسة مقارنة بين هذين الشاعرين الكبيرين توقفنا عند نقاط كثيرة قد التقي عندها هذان الشاعران، جعلت من الأول هَجَّاءً يخشاه الناس ويتجنب لسانه، ومن الآخر حاملا لواء التجديد ومتمردا على مجتمعه ، وثائرا على كل قديم، حتى زُجَّ به في زمرة الشعوبيين، كما جعلته في صدارة شعراء الخمريات بل زعيمهم دون منازع، ولقد كانت عقدة النسب البذرة الأولى التي أثمرت ما نقرأه عن هاتين الشخصيتين بما فيهما من انحراف، وبما عُرِفَ عنهما من هجاء مقذع في الأولى ومجون و تهتك في الثانية.

الحطيئة:

جرول بن أوس بن مالك العبسي(النويري،2005،ص173)، ينتهي نسبه إلى مُضَر، يلقب بالحطيئة، ويكنَّى بأبي مُليكة، ومُلَيْكة ابنته، شاعر مخضرم، أدرك الجاهلية والإسلام فأسلم ثم ارتدَّ (الأصفهاني، د.ت، 149) لكن المطلع على سيرته" يدرك أنه لم يتأثر تأثراً قويا بالإسلام ولم يظهر إلا النزر القليل من صور ذلك التأثر في حين يبدو فيه جليا جفاؤه لأهل الإسلام" (الحطيئة،18،1993) .

صفاته الجسدية:

كان قصيرا قريبا من الأرض لذلك سمي بالحطيئة، ضئيل الجسد، كان أفقم أي أن فكه الأسفل كان بارزا، كما أن الدمامة كانت تغلب على سائر ملامحه، الاختلال يعتريه في جسده ويجعله يتوهم أنه في حالةٍ تخالف أحوال سائر الناس؛ فهو لايشبههم أو بالأحرى يراهم ينعمون بما يستحيل عليه أن ينعم به من شعور التكافؤ، وصحة البدن، والظهور بمظهر الرجولة، ولعل حامل هذه الصفات يصنفه علماء النفس ضمن المرضى النفسيين الذين يعانون عقدة نفسية يطلق عليها عقدة (نابليون) وهي" اعتقاد قديم مفاده أن الذكور قصار القامة يعوضون شعورهم بقصر قامتهم من خلال تصرفات أكثر عدوانية من نظرائهم طوال القامة"(زيدان،2015،ص86) وهو ما يعرف في علم النفس بعقدة نابليون.(معلوف،2003،ص72)، وقد استخدم رائد علم النفس النمساوي الفريد أدلر نابليون بونابرت مثالا على شخص أراد تعويض عقدة نقصه، فقد كان نابليون يشعر بعيب خلقي ويظن أنه قصير القامة، وقد قاده هذا الشعور إلى الانجراف إلى السلوك الاستبدادي والعدوان عبر الحروب والمعارك.(المسلماني،2018،ص305)، ويقال إن هتلر وموسوليني وفرانكو وستالين كانوا على شاكلة نابليون من قصر القامة، وقد حاولوا تعويض شعورهم بالنقص من خلال الحصول على شخصية قوية عن طريق النفوذ السياسي والحروب بعد أن عز عليهم أن يغيروا من أجسامهم وقاماتهم (محسن،1979،ص89).

نسبٌ مغموز

إلى جانب الدمامة وقصر القامة تطل عقدة أشد على نفس أي إنسان فما بالك بشاعر يحمل بين أضلعه قلباً رقيقا، وروحا حساسة، قد حتَّمَ عليه القدر أن يعيش مغموزا في نسبه في بيئة تتعالى فيها الصيحات القبلية والاعتزاز بالأنساب، ينقل الاصفهاني عن الكلبي قولَه : " كان الحطيئة مغموز النسب وكان من أولاد الزنا الذين شَرُفُوا"(الأصفهاني، د.ت،ج2 ،150) ، وكانت أُمُهُ – الضَّرَاء- أَمَةً لأوس بن مالك فأعلقها بالحطيئة ورحل عنها، وكان لأوس امرأة ذُهْلية هي بنت رباح بن عمرو بن عوف بن الحارث، وكان لها أخٌ يقال له : الأفقم، يذكر الأصفهاني أنه كان: " طويلاً أفقم، صغير العينين، مضغوط اللحيين، فولدت الضراء الحطيئة فجاءت به شبيها بالأفقم، فقالت لها مولاتها : من أين هذا الصبي؟ فقالت لها: من أخيك، وهابت أن تقول لها من زوجك فشبهته بأخيها " (الأصفهاني،د.ت، ج2، 151) ومات أوس دون أن يعترف به .

الطعن في النسب والبعد النفسي

الطعن في نسبه جعله متذبذبا يتنقل بين القبائل، ليجد له نسباً وكان يدرك أن نسبته لاتَصُح في بني عبس، كما أنها لا تصح في بني ذُهْل، وأنه متدافع الأصل مشبوب، فهو حينا ينتمي إلى هؤلاء وحينا آخر ينتمي إلى أولئك دون أن يستقر على حال من الأحوال، ذُكِرَ أنه قَدِمَ مرة إلى أهل القرية وهم من بني ذُهْل وطلب ميراثه من الأفقم ومدحهم بقوله: (الحطيئة ،1993، 171)

لأمدحنَّ بمدحة مذكورةٍ أهلُ القُرَيَّةِ من بني ذُهْلِ
الضامنون لمال جارهمِ حتى يتمَّ نواهضُ البقْلِ
قومٌ إذا انتسبوا ففرعُهُمُ فَرْعِي وأَثْبَتُ أَصْلِهُمْ أصلي

وقد أشفق عليه بنو الأفقم وأعطوه ثلاث نخلات، دُعِيتْ نخلات أم مُلَيْكة، وهي امرأة الحطيئة، لكنه لم يقنع بها، وظلَّ يطالب بميراثه ويلح بذلك، فامتنع عليه أبناء الأفقم، فثار عليهم، وحول مدحه لهم هجاءً بقوله:(الأصفهاني،د.ت، ج2،ص150)

إن اليمامة شرُّ ساكنها أهل القُرَيَّةِ من بني ذُهْلِ

وقيل إنه أتى أخويه من أوس بن مالك وقد كانت أمه لما أعتقتها بنت رباح اعترفت أنها اعتلقت من أوس بن مالك، فقال لهم : أفردوا إلي من مالِكم قطعة فقالا : لا، ولكن أقم معنا فنحن نواسيك فقال: (الأصفهاني،د.ت، ج2، 152)

أأمَرْتُماني أنْ أُقِيمَ عليكُمَا كلَّا لَعَمْرُ أبيكما الحَبَّاقِ
عبدَانِ خيرُهُمَا يُشَلُّ بضَبْعِهِ شَلَّ الأجير قلائصَ الوَرَّاقِ

ثم انتسب إلى بكر بن وائل وقال في ذلك:(الحطيئة،1993،ص 184)

قومي بَنُو عمرو بنِ عَوفٍ إن أراد العلم عالمْ
قومٌ إذا ذَهَبَتْ خضارمُ منهمُ خَلَفَتْ خَضَارِمْ
لا يفْشَلُون ولا تبيـــــ تُ على أنُوفِهِمُ الخواطِـمْ

ثم هجاهم فقال:(الحطيئة، 1933، ص169)

تمنيتُ بَكْرا أن يكونوا عِمَارتي وقومِي وبكرٌ شرُّ تلك القَبائلِ
إذا قلتُ بَكْرِيٌّ نَبُوتُمْ بحاجتي فياليتني مِنْ غيرِ بكرِ بنِ وائلِ

قيل وسأل أمه مَنْ أبوه ، فخلطت عيه فقال: (الحطيئة، 1993،ص 140)

تقول لي الضراء لست لواحد ولا اثنين فانظر كيف شِرْكُ أولئكا
وأنت امرؤ تبغي أبا قد ضللتَه هبلت، ألمَّا تستفق من ضلالكا

ثم إنه قَدِمَ الكوفة فنزل في بني عوف بن عامر بن ذُهْلٍ يسألهم وكان يزعم أنه منهم وقال في ذلك: (الحطيئة،1993،ص ص114،115)

سيري أُمَامَ فإنَّ المال يجمعُه سيْبُ الإله وإقبالي وإدباري
إلى معاشرَ منهم يا أُمام أبي من آل عوف بُدُوءٍ غيرِ أشرارِ
نمشي على ضوء أحسابٍ أضأن لنا ما ضوَّأتْ ليلةُ القَمْراءِ للسَّاري

هذا التنقل بين القبائل ينم عن معاني البؤس التي تقض مضجعه وتُصغِّرُ شأنه حتى صار يسعى من قبيلة إلى أخرى، ليتعين له أصلاً ويستقر في حمى قوم من الأقوام، لكنهم جميعا يزْورُّون عنه، وإذا ما عطفتهم الشفقة عليه نراهم لا يُعتِّمون أن ينبذوه ويتنكروا له، ويعود الشاعر فيرى نفسه مغفل الوالد من دون سائر القوم فينقم على نفسه، وعلى واقعه، وعلى أولئك الذين يتعصبون عليه وينكرونه، وهذا جعله لا يتورع عن هجاء بني عبس وبني هذيل اللتين انتسب إليهما لأن نسبه غير

واضح وليس كما يرى النقاد أنه لم يخلص لقبيلته، فأي قبيلة يختار وقد ظل نسبه مغمورا وأمه لم تصدقه القول، ولو صدقته القول لبقي في قبيلته، يدافع عنها ، ويخلص لها ويتعصب إليها في زمن الفخر بالعصبيات (الراوي،2007،ص184).

نفسية مضطربة:

أحاطت بهذا الرجل ظروف قاسية فهو حين استفاق على الحياة وجد نفسه موضع غمزٍ في نسبه ووجد صورةً خِلْقِية مشوهة ، أخبر محمد بن الحسن بن دريد قال: أخبرني عبدالرحمن ابن أخي الأصمعي عن عمه قال: " كان الحطيئةُ جَشِعاً سَؤولاً مُلْحِفاً، دنيءَ النَّفْسِ، كثيرَ الشَّرِّ، قليلَ الخيرِ، بخيلاً، قَبيحَ المَنْظَرِ، رَثَّ الهيئةِ، مَغْمُوزَ النَّسَبِ، فاسدَ الدِّينِ" (الأصفهاني، د.ت، ج2،ص155)كل هذه الصفات اجتمعت في هذا الرجل، فكانت مصدر قلق له إذ باتت تشعره بالدونية أمام أقرانه، وتجعل منه نفسية متذبذبة بشعورها بالمنكر، تكاد لا تتحرر منه، إلا في ثورة على ما دأب الإنسان على تقديسه جميعا.

لقد كانت عقدة النسب من أقوى البواعث إلى هذا القلق والاضطراب، " إن اختفاء الأب عنه، وانسلاخه عن الأم بعد انجابهما جروﻻً- في ما بعد الحطيئة - العلة الكبرى في توجيه مسار الحطيئة في هذه الحياة وبما أن الشعر صورة لنفس الشاعر، وتعبيراً عما يجول في نفسه وخاطره، فإن هذا الأمر سيظل المطارد له ومنبع الشؤم في نفسه مدى الحياة."(هصيص، 2015،ص55) ولعلها هي التي دعته إلى غلبة الهجاء عليه، فصار يخشاه الناس لسلاطة لسانه حتى عاد صورة مشوهة مذمومة لدى النقاد القدامى والمحدثين.

لم تكن حياته الاجتماعية طبيعية، إنما كانت مريرة تملؤها شكوى الزمان بكل أوقاته وتكشف عن "نظرة تشاؤمية لا مرحلة مؤقتة بل مستمرة ما عاش هذا الإنسان في ذلك العصر الذي ازدراه وجفاه"(هصيص،2015،ص55).

إن هذه النفس المضطربة التي يلف جنباتها القلق لا تتورع في هجاء حتى من مدحتهم ، فقد كانت تهجو دون أن تؤمن بما مدحت به، لأن ضعف النسب أبْعَدها عن العصبية التي كانت في أصل الحفاظ على الشرف والتعصب للمبادئ السامية.

وفي هجائه لا تجد ضعفا أو ركاكة في قول أو غضاضة في معنى أو اضطرابا في قافية، فقد سخَّرَ ملكتَه الشعرية الفذة لهذا الغرض فانصاعت له الألفاظ والمعاني، لكن معاناته النفسية جبلته على استثمارها في الهجاء دفاعا عن نفسه التائهة لا في خدمة الصفات المحمودة كالمروءة والخلق النبيل.(قميحة،2003،ص ص18،19)، ولقد كان عنيفا في هجائه، سليط اللسان يخيف هجاؤه سادات العرب، وحين وفد على المدينة رصدت قريش له العطايا خوفا من شرّهِ (الأغاني،د.ت،ج2، ص156)

.

شمل تيار هجائه الجارف أقرب الناس إليه ، فلم يسلم والداه من سلاطة لسانه، هجا أمه عندما علم أنها تزوجت برجل يدعى كلب بن كُنيس بن جابر بن نهشل، وكان ولد زنى، وقد كان الحطيئة يرى أنها تستحق هذا الهجاء فقد كانت السبب الأساسي في تشكيل حياته الاجتماعية على ذلك النحو المخزي، إذ تلاعبت في نسبه لأبيه بين إنكار واعتراف، وجعلته يتخبط في نسبه بين قبيلتين ولم يغنم منهما شيئاً، وهو حين يهجوها يدعو عليها أن تلاقي العقوق من البنين: (الحطيئة، 1993،ص ص187، 188)

جزاكِ اللهُ شَراً مِن عَجُوزٍ ولقَّاكِ العُقُوقَ من البنينن
فقد سوّستِ امرَ بنيكِ حتى تَرَكتِهِمُ أدقَّ مِن الطَّحينِ
لسانُك مبْرَدٌ لم يبق شيئاً ودرُّكِ دَرُّ جاذبَةٍ دَهِينِ
وإن تُخْلَيْ وأمرَك لا تَصُو ني بمُشتدٍّ قُواهُ ولا مَتِين

وقال يهجوها أيضا: (الحطيئة، 1993،ص187)

تَنَحَّيْ فاجْلِسي مني بَعِيداً أراحَ اللهُ مِنْكِ العَالمينا
أغِرْبَالاً إذا اسْتودَعْتِ سِراً وكانوناً على المُتَحدِّثينا
ألم أوضح لك البغضاء مني و لكن لا أخالك تعقلينا
حياتُكِ ما عَلِمْتُ حياةُ سُوءٍ وموتُكِ قَد يَسُرُ الصَّالِحِينا

وقال يهجو والده: (الحطيئة،1993، ص ص167،168)

لحاك الله ثم لحاك حقا أبا ولحاك من عم وخال
فنعم الشيخ أنت لدى المخازي وبئس الشيخ أنت لدى المعالي
جمعت اللؤمَ لا حياك ربي وأبوابَ السفاهةِ والضلالِ

لا يعقل من إنسان سويّ أن يهجو والديه، لكن هذه العقدة ملأت نفسه ألماً وحياته خيبات، وهو يرى أنهما أساس لهذه النفسية المضطربة، وهذه الآلام المنغصة لحياته، ففي قرارة نفسه شعور بالوضاعة والنقص الذي منعه أن يجارى أقرانه الذين يفخرون بأحسابهم وأنسابهم، فما كان منه إلا أن يلجأ إلى هذا السلاح حماية لنفسه علَّها تجد لها موقعاً في هذا المجتمع، وإن رأى محقق ديوانه أن الحطيئة أدرك أن" الكلمة وحدها قادرة على أن توفر له الكرامة وتزيل عنه الشعور بالمهانة والانتقاص اللذين لحقاه بسبب ذلك النسب المغموز" (الحطيئة، 1993،ص 10)، ومن ثم التحق بمدرسة زهير بن أبي سلمى تلك المدرسة التي أعارت الكلمة اهتماما خاصاً، وبذلك يرى أن" شراكة النسب وضِعَته لم تجعل الحطيئة يقف مكتوف الأيدي أمام غمز الغامزين، كما لم تجعله يرضى أن يكون ضعيفاً بين أقوياء وهو الذي يجد في نفسه القدرة على امتلاك الكلمة التي كانت تمثل آنذاك أمضى الأسلحة وأشدها فعالية وتأثيراً." (الحطيئة، 1993،ص 10).

ربما هذه وسيلة لجأ إليها الحطيئة، لكن عقدة النسب فرضت نفسها في مجتمع قبلي لا صوت يعلو فيه سوى صوت المفاخرة بالقبيلة والنسب ، وإن استطاع الحطيئة أن يملك زمام الكلمة التي كانت تمثل أمضى الأسلحة لكنه بسبب هذه العقدة استثمرها في الهجاء الذي فرَّغَ من خلاله مكبوتاته النفسية ، وأعلن فيه ثورته الاجتماعية، سعيا لتحقيق الذات وتلبية لاحتياجاتها التي سُلِبتْ بفعل تقاليد اجتماعية تنظر بعين النقص والازدراء إلى أبناء الإماء والجواري، إضافة إلى تنقله في نسبه بين قبيلتين تنكرتا له فضاع نسبه بين الناس وضاع ماله بين القبيلتين، وربما تنقل بين أنساب قبائل العرب (الصفدي،1987،ص63)، فلو سلم له نسبه إلى قبيلة لاستثمر ملكته الشعرية فيما يخدم المروءة والخلق والصفات المحمودة كما عُرِفَ عن زهير لاسيما أنه راوية شعره وأنه تخرج عليه.

قال يهجو زوجته: (الحطيئة، 1993،ص 128)

لها جسم برغوث وساق بعوضة ووجه كوجه القرد بل هو أقبح
تَبْرِقُ عيناها إذا ما رأيتَهَا وتَعْبِسُ في وجه الجليسِ وتكْلَحُ
لها مضحك كالحَشْرِ تَحْسِبُ أنَّهَا إذا ضَحِكَتْ في أوجهِ النَّاسِ تسلخُ
إذا عاين الشيطان صورة وجهها تعوَّذَ منها حين يُمسي و يُصْبِحُ

وهجاها أيضا بقوله: (الحطيئة، 1993،ص 128)

أطوف ما أطوف ثم آوي إلى بيت قعيدته لكاعِ

كما امتد هجاؤه إلى نفسه، فقد أخبر ابن دريد قال حدثنا أبو حاتم قال : قال أبو عبيدة: كان الحطيئة بذياً هجاءً فالتمس ذات يوم إنساناً يهجوه فلم يجد وضاق عليه ذلك فأنشأ يقول :

أَبَتْ شَفَتَاي اليومَ إلا تكلُّما بشرٍّ فما أدري لمنْ أنَا قَائلُهْ

وجعل يدهور هذا البيت في أشداقه ولا يرى إنسانا، إذ اطلع في ركي أو حوض فرأى وجهه فقال: (الحطيئة، 1993، ص172)

أَبَتْ شَفَتَاي اليومَ إلا تكلُّما بشرٍّ فما أدري لمنْ أنَا قَائلُهْ
أرى لي وجْهَاً شوَّه اللهُ خَلْقَهُ فَقُبِّحَ مِنْ وجْهٍ وقُبِّحَ حَامِلُهْ

لقد استقل بالهجاء واعتمده في قصائد تامة غير أن الميزة التي ينفرد بها لم تكن في اقتصاره على موضوع الهجاء بقدر ماكان في تلك الأبعاد النفسية التي تدْلهمُّ وراء معانيه ، ولعله لا قبل لنا بتمثل شعر الحطيئة إلا إذا تتبعنا الجذور الخفية التي كانت تتفاعل وتتقمص بعضا ببعض وراء وجدانه، صادرة إلى الخارج بتلك المعاني المشوهة الكثيرة الغرابة والمنكر ،ففي قوله " أبت شفتاي إلا تكلما" يشعرنا بأنه يود أن يهجو أحداً من الناس دون أن يقوى على التحرر من هذا الشعور وهذا يؤكد أن الشاعر كان يعيش حالة توتر ونقمة دائمين وأن الهجاء كان نوعا من التخفيف والإجهاض بالألم الداخلي(إيليا حاوي،د.ت،ص37)، وليس صحيحا ما ذهب إليه بعض النقاد من أن شهوة الهجاء قد تملكته حتى أنه لم ير حرجاً من هجاء نفسه" ذلك أن هذا التعليل يميل إلى إظهار الحطيئة بمظهر طريف غريب كان المؤرخون العرب يحرصون على تمثيله في كل أمر من الأمور ألتي تولوا تاريخها. والواقع أن انصراف الحطيئة للحط من قيمة أهله وقيمته هو بالذات ليس سوى تنفُّس عن تلك الحالة السوداء التي تكبله وترهقه دون أن يرى بداً من التعبير عنها "(إيليا حاوي،د.ت،ص 36)، وفي مخاطبته لأخويه بعد اعتراف أمه له بعد وفاة أوس بن مالك بأنها حملت منه :

لاتجمعا مالي وعرضي باطلا كلا لعمر أبيكما حبَّاق (الحطيئة،1993،ص138)

يكشف هذا البيت عن الألم الذي يعتصر قلب الحطيئة نتيجة جريرة أمه وأبيه، يقول لهما لا تأكلا مالي بالباطل وكأنه يريد أن يقول لهما يكفيني ما أعانيه من باطل النسب، وتريدان أن تأكلا أيضا مالي بالباطل ! (هصيص، 2015،ص14)

وهو حين يخاطب زوجته قائلا : (الحطيئة،1993،ص 36)

وقد قالت امامة هل تعزي فقلت اميم قد غلب العزاءُ
إذا ما العين فاض الدمع منها أقول بها قذىً وهو البكاء
إذا ما المرء بات عليه وكفٌ من الحدثان ليس له كفاء
لعمرُك ما رأيتُ المرء تبقى طريقتُهُ وإنْ طَالَ البَقَاءُ
على ريب المنون تداولته فأفنتهُ وليس لها فناء
يَصَبُّ إلى الحياة ويشتهيها وفي طول الحياة له عناءُ
فمنها أن يقاد به بعيرٌ ذلولٌ حين يهترشُ الضَّراءُ
ومنها أن ينوءَ على يديه ويظهرُ في تراقيهِ انحناءُ
ويأخذه الهُداجُ إذا هداه وليدُ الحي في يده الرّداءُ

يخبرها أن الصبر قد نفد ولا عزاء لي حتى يصل الأمر به حد البكاء، لكن رجولته تأبى عليه البكاء، فيقول لها إن هذا الدمع الذي فاض إنما هو بسبب القذى... ثم يلتفت ليخاطب متخيلا أو يخاطب نفسه فيقول إن المرء لايبقى حاله كما هو مهما طال بقاؤه، فالموت يأخذه ويفنيه وليس للموت فناء، والقصيدة كما تبدو من ظاهرها أنها تصف حال الشيخ الكبير ، ولكن " الغرض النفسي الذي يلح عليه – على الأغلب- هو إلحاح اللاوعي عنده وهو حاله التي مضت ولكنه جرح نازف لا يبرأ في نفسه وهو عدم معرفته النسب، فالحرمان من الأب، فتتابع المرازي عليه يوما بعد يوم." (هصيص، 2015،ص50)

إن نفسا عاشت ظروفا صعبة كالتي ألمت بالحطيئة الذي :" كان ذا شرٍّ وسَفَهٍ، ونسبُهُ مُتَدَافَعٌ بين قبائل العرب، وكان ينتمي إلى كلِّ واحدة منها إذا غضب على الآخرين."(الأصفهاني، د.ت،ج2، ص149) لابد أن يغمرها الحزن والشتات النفسي والفكري، لقد عانى غموضا واسعا لفَّه من كل جانب، لا أهل ولا يعرف له أب ولا أصل، مقطوع الجذور عاش منفردا بأحزانه وحيدا مرفوضا بين القبائل (عبدالفتاح،1998،ص31)، وربما حتى المرأة التي اعتنت به لم تكن أمه الحقيقية لأنه لم يعرف له أصل، ظلت تقلقه رواسب الماضي، وتنغص حياته ، وتجعله يثور على من حوله وعلى ذاته، ويتسلح بالهجاء المقذع الذي لم يسلم منه حتى من مدحهم ، لقد جعل من شعره " سلاحاً ذا حدين حتى ينال فإن لم ينل أخاف المانع من سطوة لسانه لأنه كان يعلم مدى تأثير الشعر في نفوس العرب مدحاً كان أم هجاء، فلم يجد سلاحا غيره بعد أن فقد النسب والمال ولم يكن ذا هيئة حسنة." (هصيص، 2015، ص22)

إن تذبذب هذه الشخصية وقلقها امتدَّ إلى العقيدة أيضا، فتذبذبَ إسلامُهُ ، فلم يكن مسلماً صادقاً وإنما جارى به واقع العصر لأنه في نقمته وتقلبه لم يكن يسيغ الإيمان الغيبي الذي يكرّسُ المثل العليا والأخلاق السامية . فالحطيئة خرج على حدود الأخلاق والدين؛ لأن شخصيته المضطربه كانت تدفعه أبدا إلى الشك فلا يوفق إلى الإيمان بما كان يؤمن به سائر الناس ،ولم يكد يموت النبي حتى ثار على أبي بكر وأعلن النقمة التي لم يكن يجرؤ على التصريح بها قبلا يقول: (الحطيئة، 1993،ص109).

أطعنا رسول الله إذ كان بيننا فيا لِعِبادِ الله ما لأبي بكرِ
أيُورثُهَا بكراً إذا مات بعده وتلك لعمرُ اللهِ قاصِمَةُ الظَهْرِ

هذان البيتان من قصيدة أعلن فيها ردته، يدلان على أن الشاعر لم يكد يفقه معنى الدين الجديد ولم يتمثل روحه، إنما كان ينظر إليه كقيد يضيق به حتى إذا مات النبي تنفس الصعداء ثم عاد إلى الإسلام بعد أن أخفق المرتدون .

كان الشعراء الهجاؤون يتخذون من شعر الهجاء غرضا للدفاع عن أنفسهم وعن قبائلهم كما يتخذونه هدفا للكسب وجمع المال، لكن موقف الإسلام من هذا الشعر قد جعل جذوته تخفت، فقد منعه، وجعله مقتصراً على الرد والمنافحة عن الإسلام ونبيه، ضد مطاعن شعراء الكفر والضلال، لكن بعض الشعراء خرجوا عن هذا التحذير، ولم يذعنوا له، ومنهم الحطيئة الذي استمر يخوض في أعراض الناس وسبابهم.

لم يغير الإسلام من طبيعته المنحرفة، فبقي على حاله يهجو ويشتم، وقد سبب له لسانه السليط متاعب كثيرة، وبسبب شخصيته المضطربة لم يفِ أحيانا بوعوده التي أخذها على نفسه بعدم التعرض لأعراض الناس، فكان كثيراً ما يتخلى عنها ويعود إلى الهِجَاء، فقد عاد إلى الهجاء بعد أن تعهد للخليفة عمر بعدم التعرض لأعراض المسلمين مقابل مبلغ من المال دفعه له الخليفة عمر.

لقد حبسه الخليفة عمر بن الخطاب حين شكاه الزِّبْرِقَان بن بدْر، قال عمر بن الخطاب بم هجاك، قال: قال لي:(الحطيئة 1993،ص 119)

دع المكارمَ لا ترحلْ لبُغيتِها واقْعُدْ فإنَّك أنت الطَّاعِمُ الكَاسي
منْ يفْعلِ الخيرَ لا يَعْدَمْ جوازِيه لا يذهبُ العُرفُ بين الله والنَّاسِ

فقال عمر: ما أسمع هجاء، ولكنها معاتبة، فقال الزِّبْرِقان: أوما تبلغ مروءتي إلا أن آكل وألبس! سل ابن الفريعة " يعني حسان بن ثابت" فقال عمر: عليَّ بحسَّان ، فجيء به، فقال: فقال:" أتراه هجاء؟" قال فقد هجاه وأقبح به ويقال: إنه سأل لبيداً عن ذلك فقال: ما سرني أنه لحِقني من هذا الشعر ما لحِقَه وأن لي حُمُرَ النَّعَم – فأمر به عمر فجُعِلَ في نقير في بئر ثم أُلقي عليه شيءٌ، قال "فجعل الحطيئة يستعطف عمر بالشعر قال وهو أول ما قاله: (الحطيئة،1993، ص164).

أعوذُ بجَدِّك إني امرؤٌ سَقتني الأعادي إليكَ السِّجَالا
فإنَّكَ خيرٌ من الزِّبْرِقان أشدُّ نكالا وأرْجَى نوالا
تحنَّن عليَّ هَدَاكَ المليكُ فإنَّ لكلِّ مقامٍ مَقَالا
ولا تأخُذَنِّي بقول الوُشاةِ فإنَّ لكلِّ زمانٍ رِجالا

فلم يلتفت إليه عمر حتى قال:(الحطيئة،1993،ص ص 101، 102)

ماذا تقولُ لأفراخٍ بذي مَرَخٍ زُغْبِ الحَواصَلَ لاماءٌ ولا شَجَرٌ
غيبت كَاسِبَهُمْ في قَعْرِ مُظْلِمَةٍ فاغْفِرْ عليكَ سَلامُ اللهِ يا عُمَرُ
أنت الأمين الذي مِنْ بعدِ صَاحِبِهِ ألقَى إليْكَ مَقَاليدَ النُّهى البَشَرُ
لمْ يُؤثِرُوكَ بَهَا إذ قدَّمُوكَ لَهَا لَكنْ لأنْفُسِهِمْ كانَتْ بَكَ الأُثَرُ

وشفع له عبدالرحمن بن عوف، فرقَّ له وأخرجه وقال له: إياك وهجاء الناس؛ قال إذاً يموت عيالي جوعا هذا مكسبي ومنه معاشي" (الأصفهاني، د.ت، 182)،وقيل كلمه فيه عمرو بن العاص وغيره فأخرجه من السجن. وروى عن عبدالله بن المبارك أن عمر- رضي الله عنه- لما أطلق الحطيئة أراد أن يؤكد عليه الحجة فاشترى منه أعراض المسلمين جميعا بثلاثة آلاف درهم ؛ فقال الحطيئة في ذلك: (الحطيئة، 1993،ص 180)

وأخذتَ أطرار الكلام فلم تَدَعْ شَتْماً يضُرُّ ولا مَديحا ينْفَعُ
وحَميتَني عِرْضَ اللئيمِ فلمْ يخَفْ دمِّي وأصبح آمناً لا يفْزَعُ

وقام بعهده مدة حياة عمر ثم رجع إلى الهجاء بعد وفاته، وقد هاجر إلى حوران قاصداً واليها علقمة بن علاثة بعد أن منعه الخليفة عمر من هجاء المسلمين واشترى منه أعراضهم، وما أن نفذ إلى حوران حتى لقي علقمة قد توفي، فوقف على قبره وأنشد قصيدة أجازه عليها ابنه بمئة ناقة مع مئة من أولادها، وبعدئذ نراه ينصرف إلى مدح الأشعري، و ينتصر بقصيدة للوليد بن عقبة والي العراق.

فهذه النفسية القلقة التي تعاني عقد جعلتها تنحرف بسلوكها فلا ترعى القيم ولا تعيرها وزنا ولهذا أنهى حياته بشتم نفسه وذمها.

وإلى جانب الهجاء الذي اتخذه سلاحا للدفاع عن نفسه نقف على قصيدة مناسبتها قصة كرم ربما هي من نسج الخيال لما عرف عن الحطيئة أنه شاعر متكسب وأنه كان جشعا بخيلا، وربما أراد أن يرسم للناس مثلا أعلى بالكرم ليحذوا الناس حذوه و أن يحقق مقصوده الذي يرمي إليه فقد تجب ما عهده الناس عنه من بخل ودناءة نفس.

هذه القصة الشعرية التي نظمها الحطيئة ونسج أحداثها تظهره كريما جوادا لا يتوانى في إكرام ضيفه حتى لو كلفه أغلى ما يملك ، وهذا يتعارض مع صفات البخل والجشع التي عُرف بها، وربما دفعه هذا التعارض إلى شحذ خياله وإضفاء سعة عليه مكنته من نسج قصة لها بعدها الاجتماعي إذ إن صفة الكرم من الصفات التي يفتخر بها العربي الكريم وفي قصته يظهر نفسه أنه لايقل عن غيره ممن يؤثرون الضيف ويكرمونه .

يهيئ الحطيئة لقصته المبتدعة التي تُعد ملمحا واضحا من ملامح السرد في الشعر العربي القديم ، حيث استهلالية رسم فيها البيئة ؛ تلك الصحراء القاحلة التي نزل فيها مع زوجه وأبنائه وفي هذه البيئة القاحلة لم يذوقوا طعاما منذ ثلاث ليال حتى صاروا من الجوع كالأشباح .

يقول: (الحطيئة ،1993،ص 178)

وطاوي ثلاثٍ، عاصب البطن مزمل ببيداءَ لم يَعرفْ بها ساكنٌ رَسما
أخو جفوةٍ، فيه من الإنس وحشةٌ يرى البؤس فيها، من شَراسَته نُعْمَى
تفرَّد في شِعْبٍ عجوزا إزاءَها ثلاثُ أشباحٍ تخالُهمُ يَهْما
حفاةٌ، عراةٌ ما اغتدوا خُبز ملَّة ولا عرفوا للَّبْرِّ، مُذ خُلِقوا، طعْما

وهم على هذا الحال يأتيهم الضيف .. مجيء الضيف هذه هي العقدة التي تحتاج إلى حل

الضيف يتطلب إكرامه، وهذه صفة محمودة عند العرب، يفتخرون بها وهنا يتطلب من الحطيئة أن يكرم ضيفه وإلا يكون مسبةً عند العرب يعيرونه بالبخل في مجالسهم .

رأى شبحاً، وسط الظلام، فراعه فلما بدا ضيفاً، تصوَّر واهتمَّا
فقال ابنه، لما رآه بحَيرةٍ أيا أبتِ اذبحني ويسِّر له طعْما
ولا تعتذرْ بالعُدمِ، علَّ الذي طرا يَظنُ لنا مالاً، فيُوسِعُنا ذَما

إن إكرام الضيف في هذه القصة وهذه الأزمة التي خلقها الحطيئة كانت تحمل معنى واضحا وهو أنه برغم هذا الظرف القاهر فقد سعى إلى إكرام ضيفه ولو كلفه الإقدام على تجربة قاسية (ذبح ابنه) وهنا وجد الحطيئة فرصة سانحة تشفي غليل نفسه فيعيد توازنها ومكانتها بين القبائل التي تزدريه فتتغاضى عن عيوبه، ولعله في كرمه فرصة للفخر بعد أن عجز عن ا لفخر بالنسب الذي ظل مبهما له ما جعله يتنقل بين القبائل فيهجو هذا ويمدح ذاك.

وإذ هو في حيرة، متوتر الأعصاب تجاه هذه الأزمة – أيذبح ابنه أم لا يذبحه؟ تأتي لحظة حاسمة لحل هذه العقدة ، ويأتي الحل على دفعتين:

ظهور قطيع من حمر الوحش وهذا يجعل توتر المتلقي يخف فيقول في نفسه إن الأب سيقتل إحدى هذه الحمر ويقدمها لضيفه ويسلم ابنه من الذبح.

فبينا هُمُ، عَنَّتْ على البُعدِ عانةٌ قد انتظمت مِنْ خلفِ مِسْحَلِهَا نظما
ظماءٌ تريدُ الماءَ، فانساب نحوها على أنه منها إلى دَمِها أظما

ولكن تبقى الحيرة قائمة، هل يصيب الأب إحداها أم يخفق في ذلك؟

فأمهلها حتى تروتْ عِطاشُها فأرسلَ فيها من كنانته سَهْما
فخرَّتْ نحوصٌ، ذات جحشٍ، فتية قد اكتنزتْ لحماً، وقد طبَّقتْ شحْما
فيا بِشْرهُ إذ جرَّها نحو أهلِهِ ويا بِشرَهُمْ لما رأوا كلْمَها يَدْمَى

لقد تمكن الأب من إصابة إحدى هذه الحُمُر وانفرجت الأزمة وأطمأن الأبناء وقرىءالضيف .

فباتوا كراما قد قضَوا حق ضيفِهِم ولم يَغْرَموا غُرْما، وقد غنموا غُنْما
وبات أبوهم من بشاشته أباً لضيفهمُ، والأم مِنْ بِشرها أُمَّا

وصيته:

أما وصيته فقد تجرأ فيها بشيء يشبه تجرؤ أبي نواس في بعض أبياته الماجنة ، وهذا يدل على نفسية حائرة مريضة ألمت بها ظروف النشأة القاسية

يروي الحطيئة وصيته قبل موته رواية عميقة الدلالة على واقع نفسيته

قال صاحب الأغاني: " لما حضرت الحطيئة الوفاة اجتمع إليه قومه فقالوا :" يا أبا مُليكة أوصِ " فقال: " ويل للشعر من رواية السوء" قالوا " أوص رحمك الله يا حطي" قال: من الذي يقول:

إذا أنبض الرَّامون عنها ترنمت ترنُّمُ ثكلى أوجعتها الجنائز.

قالوا : الشماخٌ قال: " أبلغوا غطفان أنه أشعر العرب". قالوا :" ويحك أهذه وصية! أوص بما ينفعك! " قال: أبلغوا أهل ضابىء أنه شاعر حيث يقول:

لكل جديد لذةٌ، غيرَ أنني رأيتُ جديدَ الموتِ غيرَ لذيذ

قالوا: " أوص ويحك بما ينفعك! " قال: أبلغوا أهل امرئ القيس أنه أشعر العرب حيث يقول :

فيا لكَ منْ ليلٍ، كأن نجومه بكُلِّ مُغارِ القتلِ شُدَّتْ بيذبُلِ

قالوا:" اتق الله ودع عنك هذا" قال: ابلغوا الأنصار أن صاحبهم أشعر العرب حيث قال:

يغشون حتى ما تهرُّ كلابُهم لا يسألون عن السَّوادِ المقْبِلِ

قالوا: " هذا لايغني عنك شيئا، فقل غير ما أنت فيه، فقال:

الشعر صعبٌ، وطويلٌ سلَّمه، إذا ارتُقى فيه الذي لا يعْلمُه
زلتْ به إلى الحضيض قدمُه يريد أن يُعْرِبَه، فيُعْجِمُه

قالوا:" هذا مثل الذي كنت فيه" فقال:

قد كُنتُ أحياناً شديدَ المُعْتمدْ وكنتُ ذا غربٍ على الخصمِ ألد
فوردتْ نفسي وما كادت تَرِد

قالوا:" يا أبا مليكة ألك حاجة؟" قال : لا والله ولكن أجزع على المديح الجيد يمدح به من ليس له أهلاً" قالوا: فمن أشعر الناس؟ " فأومأ بيده إلى فيه وقال: " هذا الجُحير إذا طمع في خير " يعني فمه، واستعبر باكياً فقالوا له: " قل لا إله إلا الله" فقال:

قالتْ وفيها حيدةٌ وذُعْرُ عوذٌ بربي منكمُ وحُجْرُ

فقالوا له:" وما تقول في عبيدك وإمائك؟" فقال:" هم عبيدُ قن" ما عاقب الليل والنهار" قالوا: " فأوصِ للفقراء بشيء" قال:" أوصيهم بالإلحاح في المسألة فإنها تجارة لا تبور" قالوا: " فما تقول في مالك؟" قال: للأنثى من ولدي مثل حظ الذكر " قالوا " ليس هكذا قضى الله لهن" قال: " ولكني هكذا قضيتُ" قالوا :" فما توصي لليتامى" قال:" كلوا أموالهم" قالوا فهل شيء تعهد فيه غير هذا؟ قال:" نعم تحملونني على أتان وتتركونني راكبها حتى أموت، فإن الكريم لا يموت على فراشه والأتان مركب لم يمُتْ عليه كريم قط " فحملوه على أتان وجعلوا يذهبون به ويجيئون عليها حتى مات وهو يقول:

لا أحدٌ الأمُ من حطيئة هجا بنيه وهجا المُرَيَّة
من لُؤمِهِ مات على فريَّة

تفاصيل هذه الوصية كما يرى محقق ديوانه تظهر مخالفته لتعاليم الإسلام وحنينه إلى ميتة جاهلية (الحطيئة، 1993،ص 19).

لقد تساوت لديه القيم فلم تعد مجدية بالنسبة له، فقد ضيقت هذه العقدة عليه حياته فما عادت لنفسه مكانة يعتد بها .. نعم تساوت عنده الأنوار والظلم .

أبو نواس:

الحسن بن هانئ _ ويكني بأبي نواس _ يذكر ابن عساكر أن ولادته كانت خمس وأربعين ومائة بالأهواز بالقرب من الجبل المقطوع(ابن عساكر،1332هـ، ص279) وقيل إن أباه دمشقي كان من جند مروان بن محمد وقيل إن أمه عجمية نبَّاذة في الفرات وقيل : سندية يقالُ لها جُلَّبان.(ابن عساكر،1332هـ،ص27).

عاش طفولة معذبة جعلت منه ماجناً متمرداً، فقد كانت الشبهات تلازمه منذ صغره، يبدأ رحلة حياته بنسب مغمور في وقت تعالت فيه صيحات المفاخرة بين القبائل بأنسابها وأحسابها، وتعالت المفاخرة بين الشعوبيين والعرب أجمعين، ومفاخرة بين العدنانيين والقحطانيين، ومناجزة بين العلويين والعباسيين، لقد تركت هذه المشكلة أثراً سيئاً في نفسه، إلى جانب هذه الشبه التي يعانيها وقعت عليه شبه من جهة أمه، تلك المرأة الفارسية التي نقلته بعد وفاة والده إلى البصرة وهو ابن ست سنين، (ابن منظور، د.ت،ص11) وكانت أمه ذات سمعة سيئة فقد اتخذت من التعريس بين الرجال والنساء مهنة لها، وكان أبونواس صغيراً يبصر المجان والخلعاء في عرس دائم من الإباحية والفجور، وقد لصقت هذه السمعة به وصارت سُبَّةً عليه إلى ما بعد شبابه حتى قال فيه الشاعر الرقاشي :

أبونواس ابن هانبي وأمُّهُ جُلَّبان
والناس أفطنُ شيءٍ إلى دَقيق المعاني
إنْ زدْتُ حرفاً على ذا يا صاحِ فاقطعْ لساني

يريد : أنه ليس لجُلَّبان أب يُعرف.

وكانت الجارية عنان تغري به السفهاء والعيارين أن يصيحوا به كلما رأوه:

أبونواس اليماني وأمُّهُ جُلَّبَان
والنغلُ أفطنُ شيءٍ إلى حُروفَ المعاني

هذا النغل هو" أبونواس"، وجُلْبَانُ أمُّهُ التي كانت كما قيل ترضع أولاد الزنا وتربيهم ،ولعل قدر هذا الفتي كان سيئا أيضا حين أسلمته أُمُّهُ إلى عطار يُبرئ العود، ليتعرف على بدر البراء صاحب الدكان الذي كان صاحب غلمان(ابن منظو، د.ت،ص35) وأصبح أبونواس أحد غلمانه، (ابن منظور، د.ت،ص14) وهذا يعني أن رفقاء أبي نواس ليسوا سُوى غِلْمَان مخنثين، ثم ساقه القدر ليتعرف على والبة بن الحُبَاب هذا الماجن الذي حثَّه على أن يصطحبه إلى الكوفة،(ابن خلكان،1948،ص274) وكان والبة أحد مجانها المشهورين وعنه أخذ أبونواس الفسق العملي والنظري(طه حسين.د.ت،ص30) وفيها أيضا التقى عصبة المجان الفساق منهم: الرقاشي ومسلم بن الوليد والحسين الخليع والعباس بن الأحنف، وكلهم كانوا " لايستترون في معصية ولايكفون عن فاحشة، وكانوا يتنقلون بمعاصيهم وآثامهم بين بغداد والكرخ والبصرة والكوفة والرقة، وكانوا يأخذون اللذة حيث وجدوها فإذا أخذوها لم يتركوها حتى تتركهم، وكانوا لايخشون في ذلك خلقا ولا ديناً" (طه حسين. د.ت،ص30) إضافة إلى هذه العوامل المتضافرة التي أثرت في نفسية أبي نواس نضيف نقطة ذات تأثير سيئ في نفسه ألا وهي حبه للجارية جِنان، فقد كانت تهزأ به وتضطهده ، لقد مثل هذا الحب عقدة مزدوجة في نفسه فقد أشعره هذا الحب بأنه عاجز عن التحرر من واقع الناس الذين يهزأ بهم و هو يعاني مصيرهم (إيليا حاوي، د.ت،ص212). وإن شكك بعض النقاد في صدق هذا الحب (طه حسين، د.ت،ص107) يقول :(أبونواس، 1984،ص263)

ملأتْ قلبي نُدُوبَا فصِرْتُ صَبَّاً كئيبَا
عَلَّمْتِ دَمْعِي سَكْبَاً ومُقلتـيَّ نَحيبَـا

لقد تضافرت هذه العوامل التي أهمها هذا النسب المغمور في خلق هذه الشخصية المضطربة التي جعلت تتنقل بين القبائل باحثة عن نسب. يقول ابن منظور في نسبه :" كان دعياً يخلط في دعوته "(ابن منظور،د.ت، 23) كما أنه ادعى أنه من ولد عبيد الله بن زياد بن ظبيان من تيم الله فقيل له إن الرجل مات ولا عقب له، فاستحى وهرب من تيم الله (ابن منظور،د.ت،ص ص24.25)، ثم جعل يتنقل بنسبه بين القبائل حتى ادعى اليمانية يقول:(أبونواس،88،1984)

وخمَّارٍ طرقتُ بلا دَليلٍ سوى ريح العتيقِ الخسرواني
فقامَ إليَّ مذْعُورا يلبّي وجَونُ اللَّيلِ مثلُ الطَّيلَسانِ
وقال: أمِنْ تميمٍ؟ قلتُ :"كلا ولكنّي من الحيّ اليَماني

ثم تنزَّرَ وادَّعى للفرزدق ، وقدَّم نزاراً عليهم يقول: (أبونواس، 1984 ،552)

يا هاشمُ بنُ حُدَيجٍ لو عددتَ أبا مثل القَلَمَّس لم يعلقْ بك الدنسُ

وقال يهجو اليمانية أيضاً: (أبونواس،1984، 546)

لأزْدِ عُمانٍ بالمُهَلَّبِ نَزْوةٌ إذا افتخرَ الأقْوامُ ثم تَلينُ
وبَكْرٌ ترى أنَّ النُّبوَّةَ أُنْزِلَتْ على مسْمَعٍ في الرَّحمِ وهو جَنينُ
وقالتْ تميمٌ لا نرى أنَّ واحِداً كأحْنَفِنَا حتَّى الممَاتِ يكُونُ

ثم ندم على هجاء اليمن ، ووجدهم له أنصر ولدعوته أقبَل؛ فاعتذر إلى هاشم بن حُديج، فقال : (ابن منظور،د.ت،ص29)

أهاشمُ خذْ مني رضاكَ وإن أتى رضاكَ على نفسي فَغَير ملوم
فأُقسِمُ ما جَاوزتُ بالشَّتْمِ والدي وعِرْضي وما مزَّقْتُ غيرَ أديمي.

ثم هجا نزارا :(أبونواس، 1984،ص508)

واهْجُ نزاراً وأفر جِلدتَها وهتِّكِ السِّتْرَ عنْ مَثالِبِهَا

وفي هذه القصيدة يفخر بقحطان :

فافخَرْ بقحطَانَ غيرَ مُكْتئبٍ فحاتمُ الجُودِ مِنْ مَنَاقِبِهَا
ولاتَرى فَارساً كفَارِسِهَا إذْ زَالت الهَامُ عَنْ مَناكِبِهَا
عمرٌو وقيسٌ والأشْتَرَانِ وزَيْدُ الخيلِ أُسدٌ لدى مَلاعِبِهَا

ثم لا يتحرج في أن ينكر العرب جميعا ليفخر ببني الأحرار: (الديوان، 1984، 102)

تراثُ أنوشروانَ كسرى، ولم تكنْ مَوَاريثَ ما أبْقَتْ تميمٌ ولا بَكْرُ

عانى أبونواس آلام هذه العقدة التي بقيت تزعجه في كل مجلس وجعلته يحمل مقتاً وبغضاً لمن ينتقص قدره بسببها ولمن يتفاخر عليه بالنسب، ولهذا هجا القبائل التي تفتخر بنسبها وافتخر ببني الأحرار حين قال: (الديوان، 1984،ص193)

ولفارِسِ الأحرارِ أنْفَسُ أنْفُسٍ وفَخَارُهمْ في عِشْرَةٍ معْدُومُ
وإذا أُنَادِمُ عُصْبَةً عَربِيةً بَدَرَتْ إلى ذِكْرِ الفِخَارِ تَمِيمُ
وعدَتْ إلى قَيْسٍ، وعدَّتْ قَوسَهَا سُبِيتْ تَميمُ، وجَمْعُهمْ مَهْزُومُ

لقد جنت هذه العقدة على الشاعر جنايات عدة ، قادته إلى المجون حتى صار إباحياً وإن كانت العقد النفسية لاتعيش في دخائل الإباحيين، إذ كانت العقدة بطبيعتها كبتاً وكتماناً ، وكانت الإباحية مجاهرة بما يكبته الناس ويكتمونه، لكن مشكلة النسب شيء لايباح به ولايكشف إلا على المغالطة والتحدي وهذا ما فعله أبونواس.

نعم لقد قادته إلى التحدي والتمرد، تمردٌ على المجتمع وعاداته وتقاليده، وتهجمٌ على القيم الأخلاقية والدينية واستخفافٌ بالقيم الشعرية المعتبرة، كل هذا جعل منه العدو الأول للمجتمع الذي حال دون تحقيق أمانيه ورغباته ولاسيما الجارية جنان التي أحبها وحرم منها والذين حرموه كانوا يمثلون القيم الاجتماعية المعتبرة.

لقد انحدرت هذه الإخفاقات وما تبعها من كره وتمرد على تقاليد المجتمع إلى عقله الباطن، فكان استهجانه لحياة العرب وأطلالهم استدعاء لما في عقله الباطن وكانت الخمر وسيلته التي يستدعي بها هذا التهجم أثناء غيبوبته بنشوة الخمر. (أبونواس،1984،ص11)

ولا تأخذْ عَنِ الأعْرابِ لهواً ولا عَيْشَاً فعيشُهُمُ جَدِيبُ
دَعْ الألبانَ يَشْرَبُها رِجالٌ رَقيقُ العَيشِ بَينَهمُ غَريبُ
فأطيبُ مِنْهُ صافيةٌ شَمُولٌ يَطُوفُ بكأسِهَا سَاقٍ أدِيبُ

ويقول: (أبونواس،1984،ص46)

عَاجَ الشقيُّ على دارٍ يُسائلُهَا وعُجْتُ أسألُ عن خمَّارةِ البلدِ

لايُرْقِئُ اللهُ عَيْنَيْ مَنْ بَكَى حَجَراً ولا شَفَى وَجْدَ مَنْ يَصْبُو إلى وَتَدِ
قالوا: ذَكَرْتَ دِيَارَ الحيِّ من أسَدِ لا دَرَّ دَرُّكَ قلْ لي مَنْ بَنو أسَدِ
ومَنْ تميمٌ، ومَنْ قَيسٌ وإخوتُهُمْ ليس الأعاريبُ عِنْدَ اللهِ مِنْ أحَدِ
دَعْ ذا عَدمْتُكَ، واشْرَبْهَا مُعَتَّقَةً صَفْرَاءَ تُعْنِقُ بَيْنَ الماءِ والزَّبَدِ

وسخر من الواقفين على الأطلال، يقول: (أبونواس،1984، 698)

مالي بدَارٍ خَلَتْ من أهْلِهَا شُغُلُ ولا شَجَاني لها شَخْصٌ ولا طَلَلُ
ولا رُسُومٌ، ولا أبْكي لمنْزِلةٍ للأهْلِ عَنْهَا، وللجيرانِ مُنْتَقَلُ
بيداءَ مُقْفِرَةً يَوماً – فأنْعَتها ولا سرى بي فأحكيهِ بها جَمَلُ
ولا شَتَوتُ بها عاماً فأدْركني فيها المصيفُ فلي عن ذاك مُرْتحَلُ
ولا شَدَدْتُ بها من خيمةٍ طُنُباً جاري بها الضَّبُ والحَرْبَاءُ والوَرَلُ

كان يزعجه التفاخر والتعالي القبلي ويوقظ في نفسه الألم الدفين ، فقد كانت هذه العقدة من أقوى بواعث أبي نواس إلى معاقرة الخمرحيث يختار المجالس التي لاتسمع فيها المفاخرة بالأنساب : (أبونواس،1984،ص193)

ولفارس الأحرارِ أنْفَسُ أنْفُسٍ وفَخَارُهمْ في عِشْرَةٍ معْدُومُ
وإذا أُنَادمُ عُصْبَةً عَربِيةً بَدَرَتْ إلى ذِكْرِ الفِخَارِ تَمِيمُ
وعدَتْ إلى قَيْسٍ، وعدَّتْ قَوسَهَا سُبِيتْ تَميمُ، وجَمْعُهمْ مَهْزُومُ

وأمام هذه الصيحات وهذا التعالي لم يكن أمام أبي نواس المغموز النسب إلا أن يرى رؤية ويختط منهجا ويصدح به ويشحذ لسانه دفاعا عنه، فهولم يكن صغيرا عند نفسه فيعترف عليها بالصغر والمهانة لذا فقد أرخى للسانه العنان في هذا المضمار، فذم القديم ونادى بالثورة عليه وسخر من حياة البداوة وجاهر بمجونه وبمعاقرة الخمر مناديا إلى ترك المقدمة الطللية مستبدلا بها المقدمة الخمرية.

هذه الدعوة إلى نبذ القديم رأى فيها بعض النقاد شعوبية ، والحقيقة أن القول بشعوبية الشاعر بعيدة عن الصواب فلو "كان شعوبيا للمحنا في شعره حنينا إلى دين آبائه وأجداده المجوسيين وعبدة النار وما إليها ولكننا لم نجد شيئا من ذلك في ديوانه، بل العكس وجدنا ما يوحي بكرهه للنار وللمجوس ذلك من خلال مناجاته للخمرة (محمد الخشمان، 1977،ص84) "، كان يذم القديم الذي تمسك به الشعراء ، وكان الفخر بالنسب ركيزة هذا القديم، وقد دفعه هذا الى الثورة عليه والدعوة إلى التجديد ، بل ثار على المقدمة الطللية التي تعد رمزاً لهذا ا لقديم، وسخر من الباكين على الأطلال منادياً بتركها ومواكبة الحياة الجديدة. أما القول بأن تنقل أبي نواس بين قبائل العرب باحثا عن نسب فيمدح قبيلة ويهجو أخرى أمكنه من هجائها جميعها وبذلك استطاع بدهائه السياسي أن يحمل هجاءه على أنه تعصب لقبيلة عربية ضد قبيلة عربية أخرى ولا يحمل على تعصب لقومه الفرس ضد العرب، فإن في هذا القول تعسفا، فأبونواس كان يبحث عن نسب له ولو سلم له ما تنقل بين القبائل باحثا عنه، لكن تنقله بين قبائل العرب ينم عن لهفته على هذا النسب (العقاد، د.ت،ص103).

لقد خلقت عقدة النسب عداء بين أبي نواس وهذا المجتمع القبلي فأدى هذا العداء إلى التصدع بينه وبين المجتمع ، وقد قاده هذا التصدع إلى الإبداع والتجديد ذلك أن الباحثين في الدراسات النفسية يؤيدون النظرة القائلة بأن الابداع والتجديد ينتجان عن خلل في التكيف بين الفنان ومجتمعه، فيذهب" لنجفيلد" إلى أن الإبداع الفني ينشأ بوجود صراع وأن حياة الفنان زاخرة بضروب من الصراع لايحسن التغلب عليها إلا في ميدان التعبير الفني، وأن الإبداع الفني الدقيق يقوم على حياة ملؤها مشكلات تثير القلق والاضطراب(سويف،1970، ص124).

نعم لقد كانت حياته مثالا لهذا التصدع ومن ثم ثار على كل قديم مناديا بالتجديد فعُدَّ ناقدا خبيراً بتأثير الحضارة في الشعر والأدب (قدامة بن جعفر،د.ت،ص28) وتسنم زعامة الشعر الخمري دون منازع و جاهر بحبها،:(أبونواس، 1984،ص28)

ألا فاسْقِني خَمْراً، وقلْ لي هي الخَمْرُ ولا تسْقِني سرّاً إذا أمْكَنَ الجَهرُ

وأفصح عن سبب إقباله عليه بنهم فهي التي تبعث السرور إلى قلبه وهي التي تدفع الهموم وتبددها يقول: (أبواس، 1984،ص131)

إذا خَطَرَتْ فيكَ الهُمومُ فَدَاوهَا بكأسِكَ حتى لا تَكُونَ هُمُومُ
هلاَّ استَعَنْتَ على الهُمومِ صفراءَ، من حَلَبِ الكُرومِ

ويقول: (أبونواس،1984،ص،137)

ووهبْتَ للعيشِ الحميــدِ بقيَّةَ العيشِ الذَّميمِ

وقد فسر بعض النقاد هذا الحب اعتمادا على ما يسميه علماء النفس بـ (التثبيت الفمي- oral- fixation) ويحدث إما نتيجة إشباع مسرف في مرحلة معينة أو نتيجة إحباط شديد يؤدي بالطفل إلى الصعوبة في تجاوز هذه المرحلة، وبالنظر إلى حياة أبي نواس فقد كانت حياته مثالا للإحباط الشديد ذلك أنه حُرِمَ حنان الأبوين منذ طفولته وأنه عانى خسة في النسب وبالتالي لم تكن أمامه سوى الخمر إشباعا لهذا الإحباط، وبها حقق وظيفتين: الهروب من واقعه المؤلم الذي يتضمن فشله في التواصل مع النساء، وعقدة النسب التي عانى منها الكثير إضافة إلى أنه حقق إشباعا لميوله الفمية الطفلية التي حرم من إشباعها في طفولته الأولى(درويش،1987،ص 378،).

عدد من الدراسات تناولت شخصية أبي نواس وفقا لمعطيات مدرسة التحليل النفسي فتعددت الآراء في شخصيته لكنها اتفقت في أن دلالات النشأة البيتية إضافة إلى دلالات التكوين الجسدي ودلالات المجتمع والعصر بحذافيره قد أسهمت في تكوين هذه الشخصية وما اعتراها من خلل.

أما نهاية الشاعر فقد اختلفت عن نهاية الحطيئة، ففي "الفرح والتهاني " يروى عن مسعود بن همام أنه قال:" ما رأيت أحداً أشد اعترافاً بذنوبه عند موته ولا جزعا مما أتاه من أبي نواس، ولقد قرأت وصيته فكانت: بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ هذا ما أوصى به المسرف على نفسه المغتر بأمله المعترف بذنوبه الحسن بن هاني أوصى أنه يشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له ولا ضد ولا مثل وكل معبود سواه باطل (هدارة، 1969،ص245، – نقلا عن الفرح واتهاني ورقة مخطوط) وقد تحدث أبونواس عن نفسه فصورها أصدق تصوير: (أبونواس، 1984،611)

رَضِيتَ لنفْسِكَ سَوآتَها ولم تألُ جُهْدَاً لمرْضَاتِهَا
وحَسَّنْتَ أقْبحَ أعْمَالِهَا وصَغَّرتَ أكْبَرَ زَلاتِهَا
وكَمْ مِنْ طَرِيقٍ لأهلِ الصِّبَا سَلَكْتَ سَبيلَ غِوايَاتِهَا
فَأيّ دَوَاعِي الهَوى عِفْتَهَا ولم تَجْرِ في طُرْقِ لذَّاتِهَا
فأيّ المَحَارِمِ لم تَنْتَهِكْ وأيّ الفَضَائحِ لم تَأتِهَا
وهذي القَيامَةُ قَدْ أشْرَفَتْ تُريكَ مَخَاوفَ فَزْعَاتِهَا

الخاتمة:

ظهر من خلال البحث في الصلة بين دراسة الأدب وعلم النفس، وجود إشارات نفسية موجودة في كتب النقد القديمة وفي أشعار الأقدمين والمخضرمين، وفي ثنايا البحث إشارات إلى النشأة وعقدة النسب اللتين تركتا بصمتهما على شخصيتي الحطيئة وأبي نواس، وإن اختلفت نهاية كل منهما، فالحطيئة مات ميتة أقرب إلى الجاهلية، والتي تبين من خلال البحث أنها عائدة إلى شخصيته المضطربة، عطفاً على أنه لم يكن واضحاً في إسلامه فقد ارتد وأعلن ذلك في شعره، بيد أن أبا نواس له أشعار تنم عن ندم بالغ، وقد تبين أنها ليست بزهديات كما يزعما البعض، وإنما هي صور للندم تنتابه بين الفينة والفينة، ويقظة ضمير مردها إبى تكوينه النفسي وسعه ثقافته.

كما وأظهرت الدراسة أن عقدة النسب كانت هي المؤشر الأول على ما كان يختلج في نفس الشاعرين، مع اختلاف بينته الدراسة بين تأثير العقدة المتعلقة بالنسب لدى كل منهما، فقد اقترنت عند الحطيئة بعقدة تسمى(عقدة نابليون) لما اعترى جسده من اختلال مرده إلى قصر القامة، وربما كان ذلك الشعور دافعه الأكبر إلى الهجاء المقذع، أما أبونواس فقد كان غير الحطيئة في الجسد والخليقة، وربما كان ذلك مما أغراه بانتهاج طريق المجون والسكر، في ظل وجود مظاهر المجون واللهو في بيئته التى عاشها.

وأبرز البحث الآثار النفسية في شخصية أبي نواس في أخريات أيامه، حين جزع على ما كان منه، وأظهر تباريح ندم وتحسر، والتي انعكست في تأسفه لحظات احتضاره، وندمه على حياته التي لم يحسن العمل والخلق حين كانت الأيام سانحة وفسحة العمر مانحة.

بينما تبين من خلال نهاية الحطيئة أن الدنيا في زعمه بلا قيم، ففيها تساوت المثل والمثالب، ولا فرق بين هداية وظلال، ففي أواخر عمره لم تندثر آثار عقده النفسية المتعلقة بنظرته للناس ونظرة الناس إليه، فانتهى أمده ونفسه تتنازعها أنوار الإيمان وظلمات النقص وأوهام النفس الأمارة.

قائمة المصادر والمراجع:

أولاً: المصادر:

_ أبو نواس: الحسن بن هانيء الحكمي.(1984)، ديوان أبي نواس، تحقيق أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت، دار الكتاب.
_ الأصفهاني: أبوالفرج علي بن الحسين، الأغاني.(د.ت) ، شرحه وكتب هوامشه عبد علي مهنا، الجزء الثاني، بيروت، دار الفكر .
_ الحطيئة: أبو مليكة جرول بن أوس بن مالك. (1993). ديوان الحطيئة برواية وشرح ابن السكيت، دراسة وتبويب مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية.
_ ابن خلكان: أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد.(1948), وفيات الأعيان، الجزء الأول، الطبعة الأولى، تحقيق محمد محيي الدين عبدالحميد، القاهرة، مكتبة النهضة العربية.
_ الصفدي: صلاح الدين خليل بن أيبك.(1987) ، جنان الجناس في علم البديع، تحقيق سمير حسين حلبي، بيروت، دار الكتب العلمية.
_ ابن عساكر: أبو القاسم علي بن الحسن.(1332هـ)، التاريخ الكبير، الجزء الرابع، دمشق، دار روضة .
_ قدامة بن جعفر: أبوالفرج قدامة بن جعفر بن قدامة بن زياد البغدادي (د.ت). ، نقد الشعر، تحقيق محمد خفاجي، بيروت، دار الكتب العلمية.
_ ابن المعتز:عبد الله بن محمد بن المعتز العباسي.(1950)، طبقات الشعراء : تحقيق عبدالستار أحمد فراج، القاهرة، دار المعارف.
_ ابن منظور: جمال الدين محمد بن الخزرجي. (د.ت)،أخبار أبي نواس،(ملحق مطبوع مع الأغاني) الطبعة الثانية، ، بيروت، دار الفكر.
_ النويري: شهاب الدين أحمد بن عبدالوهاب.(2005)، نهاية الأرب في فنون الأدب، الجزء الثاني، تحقيق مفيد قميحة وحسن نور الدين، بيروت، دار الكتب العلمية.

ثانياً: المراجع:
_ حاوي: إيليا. (د.ت)، فن الشعر الخمري وتطوره عند العرب، بيروت، دار الثقافة.
_ حسين: طه. (د.ت) حديث الأربعاء الجزء الثاني، القاهرة، دار المعارف.
_ حمدان: محمد زياد.(2015)، توافق الشخصية والسلوك المدني، دمشق، دار التربية الحديثة.
_ الخشمان: محمد،(1977)، شعوبية أبي نواس ، مجلة أفكار، العدد 35، عمان، منشورات دائرة الثقافة والفنون.
_ درويش: العربي حسن.(1987)، أبو نواس وقضية الحداثة في الشعر العربي، القاهرة ، الهيئة المصرية العامة للكتاب.
_ الراوي: بان حميد فرحان.(2007)، الحطيئة في معيار النقد قديما وحديثا، بغداد، دار دجلة.
_ رفيق: محمد بن أحمد.(2021) ، العنف ضد المرأة : تاريخه - أسبابه – علاجه، بيروت، دار العلم للملايين.
_ سويف: مصطفى.(1970)،الأسس النفسية للإبداع الفني في الشعر خاصة، القاهرة، دار المعارف.
_ عبدالفتاح: علي.(1998)، شخصيات أدبية، القاهرة، مكتبة ابن كثير.
_ عرفة: الشيخ محمد.(أغسطس.1936)،المناقضة في شعر أبي نواس، مجلة الهلال، العدد العاشر، السنة 44، القاهرة، منشورات دار الهلال.
_ العقاد: عباس محمود. (د.ت)، أبونواس، القاهرة، دار النهضة.
_ فضل الله: إبراهيم.(2011)، علم النفس الأدبي، الطبعة الأولى، بيروت، دار الفارابي.
_ مراد: يوسف.(1948)، مبادئ علم النفس العام، القاهرة، دار المعارف.
_ المسلماني: أحمد.(2018)، الهندسة السياسية، القاهرة، الدار المصرية اللبنانية.
_ معلوف: رفيق.(2003)، مفكرة الأيام: كتابات صحفية مختارة في أدب السياسة وثقافة الرأي والفكر، المجلد الثاني، بيروت، دار بيسان للنشر.
_ هدَّارة: محمد مصطفى.(1969)،اتجاهات الشعر العربي في القرن الثاني الهجري، الطبعة الثانية، القاهرة، دار المعارف.
_ هصيص: علي سعيد.(2015)، وجه الحطيئة مرايا الاتهام والبراءة، عمان، دار عالم الثقافة.